

فهي بار الامبراطورية السوفياتية فتحت أبواب الأمل وضاعف من أنشطة الجواسيس والعملاء

«لعبة الأمم» في عصر النظام العالمي الجديد

لندن: من طلعت الرصيف
سرة أخرى تعود لعبة الأمم
وايكتارات أشهر لاعبيها من
الجواسيس وكالات المخابرات الغربية
والشرقية إلى الساحة الدولية رغم
انتهاء الحرب الباردة وتفتت دولها.
اساطير وكالات وأجهزة ضخمة
سيطر على الملايين بعمليات الوهم،
وأعمال القمع وشراسة حملات الدماء
بأسما شهيرة عرفها العالم باسم الـ
«كي جي جي» و«ستاسي» السوفياتية
والألمانية الشرقية وغيرها في وارسو،
وبودابست... من العواصم التي انبرت
منها شبكات العملاء، أكثر من نصف
قرن.

رغم تلك التغيرات العيفة مارالت
أجهزة المخابرات الغربية: امريكية،
وفرنسية وبريطانية نشاطا في تجنيد
العملاء من بين آلاف اللاسلكين من
الشباب في حقول الصناعة، وأروقة
أجهزة الحكم في البلدان الأجنبية،
وأكاديميات العلوم والجامعات وينس
الأساليب القديمة التقليدية التي
استخدمتها منذ مطلع القرن الحالي
ويعد أن أصبح المطلب في حقبة
التسعينات وبالحاح لشدة الزيد من
الجواسيس والعملاء، العديد خاصة من
طلاب الجامعات وخريجوها الذين
يتعلمون إلى معاينة فراجيس
الخلافات المحفوفة بالخطر وتأتي ثمن
أو الميزات الوافدة أو القابل المادي
عالم تتغير خرائط القيمة بسرعة
دويان قطع السكر في فتاجع الناصي
وكان الخبراء في العصر
الفيكتوري هم الذين أطلقوا على هذه
الجيش الصغيرة المقاتلة في معارك
حروب الصمت مختلف القلب البطولة.

وتسج اساطير الشجاعة، في لعبة
تتارستها جميع الأمم بهارات متفارقة،
طرح وفي مختلف العقود على الاجيال
التلاحقة من شباب الامبراطورية
البريطانية بالقلات اكبر اغراء، في
مجال جمع المعلومات وتحقيق
طموحات وطنية، وحماية شعارات
تقليدية ظلت مسيطرة لزمن طويل،
يخطف الغار سياساتها عتاة جبر الان
الامبراطورية للتعاقد من اروق
الرائد هول في لندن وتتغذى شبكات
واسعة من العملاء في انحاء
الامبراطورية للقيام بالاعراف.

ووضعت لها خطا لعبة الأمم في مطلع
القرن الحالي عمليات احتواء
الامبراطورية القيصرية الروسية ومنها
الغفن العملي عمليات الأمم في مطلع
الامبراطورية القيصرية الروسية ومنها
من التوسع في الوصول في حدود
جوهرة التاج البريطاني، الهند، في
نفس الوقت التي نشطت فيه ابعاد
اللعبة البريطانية داخل دول البلقان
بتجنيد العملاء المحليين، ووشوة كبار
المسؤولين في حكوماتها، واختراق
أجهزة الرقابة للاتسلك والتفتت على
اجتماعات كبار القادة العسكريين
وصناع القرار، وفتح موجات الرسائل
الغربية وانتزاع مختلف الاسرار التي
تحتويها من لخطر وثائقها السرية التي
رسائل الاعراف العاملين وجمع تفاصيل
المصور التلاحقة للحياة وأيقاعاتها
داخل منطقة القتال.

تقاليد اللعبة وقواعد حروب الصمت قد
تغيرت واختلقت في الحق التي اعتنت
تنها، الحرب العالمية الثانية ومولجة
مرحلة وسنوات الحرب الباردة وصعود
القوانين الكبريين، الاتحاد السوفياتي
وقوانين التحدية الأمريكية على
الساحة الدولية.

اذ أصبحت عمليات جمع
المعلومات وتحليلها، وطورة القتاج،
وضع الاحتمالات والمصاغات للقررة
القرارات السياسية والعسكرية تعتمد
في الكثير منها على استخدام أحدث
التكنولوجيا، وبنذبات الرادار، وتحكم
للمسيرة في مستشفي وقوية
للطائرات المخصصة من اخطر ساحات
جمعها داخل العواصم الأجنبية طوال
السنوات التي شهدت احتدام معارك
حروب الصمت وعلى مدى تلك الحقبة
قنبلة بالحرب الباردة.

غير أن مؤسّر الحركة على

جميع المعلومات، وأنشطة استخدام
أحدث أجهزة التنصت التي كانت تكلف
الميزانيات المالية الهائلة الهائلة سنويا،
والأعداد لاجراء خفض كبير في عمليات
وميزانيات التنصت والتوسع في تجنيد
الجواسيس والعملاء، الذين يتم إرسالهم
إلى الجمهوريات السوفياتية السابقة
وتنشي حركتهم وأنشطتهم مع حركات
وأشعة المزيد من اللاجئين المهاجرين
من ابناء هذه الجمهوريات وكبار
المسؤولين السابقين في أجهزة الأمن
والأكاديمية والصناعية في الغرب
وخاضة بريطانيا التي شهدت من
تتاجهم في العامين الأخيرين أعدادا
لا بأس بها يتكهنها المساهمة مع غيرها
من جواسيس الحركة في ساحة
مؤشرات بنود الحركة في ساحة
معارك الصمت ولعبة الأمم التي دوراتها
الطبيعي وروا تكفاه تتسلسل على
معدلاتها السابقة أبان حقبة الحرب

الباردة.
ومع الانهيار السريع الذي لحق
الامبراطورية السوفياتية السابقة
وانفراط جمهورياتها الخمس عشرة،
ومحاولات تجميعهم في إطار دول
الكومنولث الجديد برزت عوامل الجذب
وأغراء الجواسيس والعملاء على العمل
داخلها وللساليب أكثر حرية من قبل
بعد أن انحصرت، إلى حين، قوى
السيطرة السابقة التي كانت تفرضها
قنبلة وشبكات أجهزة أمن الدولة
السوفياتية الـ «كي جي جي».

والخبر أن هذه هي نفس الحالة

مطلع التسعينات. وشهد العالم كيف ان الحسب الامنية التي انتقلت في يوغوسلافيا خففت في اشغال لهيب للصراعات المسلحة في بلدان العالم الثالث او دفع القوى الكبرى الى حافة الحرب النووية لسبب بسيط هو ان خطر الماكينة العسكرية السوفياتية لم يعد له وجود يذكر وان برزت الى السطح عوامل اخرى جديدة اهمها: تضاعف المد القومي، وتشتت مراكز السيطرة النووية، والارهاب الدولي، والتطرف الاصولي في عدة مجتمعات اسلامية، ويبدو المد القومي من بين مجموعة هذه العوامل هو اكثر المخاطر للطروحة الآن على الساحة الدولية والتي يتوجب متابعتها وقياس الحجم الذي بلغ في بعض المناطق من العالم للهمة الاولى على قائمة المهام الملغاة على عائق جامعي المعلومات والجواسيس والعملاء التابعين لاجهزة المخابرات الغربية، بالإضافة الى مواصلة عمليات التجسس الاقتصادي والصناعي والمراقبة الدقيقة لحركة المعالقة الصناعيين في هذين الميدانين.

وفي هذا المجال يقول البروفسور كيدرويرتسون مدير المعهد الاوروبي والدراسات الدولية بجامعة ريدنج (البريطانية): «في الوقت الذي اكد فيه التعاون المشترك بين اجهزة المخابرات الاميركية والاجهزة النظرية البريطانية في عديد من مجالات العمل على المسرح الدولي خلال سنوات العقد الماضي وبرزت النزاع المسلح على جزر الفولكلند، تبدو الحاجة الآن اكثر إلحاحا لتنسيق العمليات المشتركة بين هذه الاجهزة (وكالة المخابرات المركزية الاميركية CIA)، وجهاز المخابرات البريطانية «ام. اي. ٦» وال «كي. جي. ١» الروسية لمواجهة مخاطر تهريب اللغدرات وأنشطة الارهاب على الساحة الدولية، رغم ان الجهاز الاخير (الروسي) مازالت قيادته تساورها عوامل الشك في النوايا الغربية، الامر الذي كشفت عنه التصريحات العلنية لوزير مخابرات ال «كي. جي. بي» الروسية في موسكو الجنرال بونلياكين مؤخرًا، ولذا فانه ازاء نوايا الشك الروسية، وعدم وضوح الرؤية لدى الاجهزة النظرية في جمهوريات الكومنولث الجديدة وخاصة جمهوريات لسيا الوسطى يصعب من الواجب على اجهزة المخابرات الغربية مضاعفة نشاطاتها والتوسع في تجنيد اعداد كبيرة من العملاء والجواسيس وتحمل قيعات ميرات سيطرة اجهزة تخابر مركزية موحدة في موسكو وبغض النظر عن انهيار الامبراطورية السوفياتية وتفككها السريع، فالخطر الواحد قد اصبح الآن اكثر من ١٥ بؤرة جديدة اضيفت اليها بؤر المخاطر السابقة في بلدان اوروبا الشرقية.

على قمة اجهزة التخابر في روسيا البيضاء، ان حقول التخابر في بلاده وكذلك في بقية بلدان الكومنولث الجديد قد اصبحت حقولاً مشاعة لأنشطة الرفاق القدامى وايضا الحلفاء السياسيين الجدد. في الوقت الذي تحرص فيه منظمة ال «كي. جي. بي» الروسية، وعلى سبيل المثال - على تدعيم علاقات تبادل المعلومات واوامر الرابطة مع وكالة المخابرات المركزية الاميركية، CIA، والبريطانية ال «ام. اي. ٦» خاصة حول الارضاح الداخلية المضطربة في جمهوريات الكومنولث الجديد.

وفي هذا الاطار عرض نائب رئيس المخابرات الروسية «فلاديمير بولياكين» تقديم المساعدة في الرقابة على برامج لتسليح النووي لجمهوريات الكومنولث وتقديم المعلومات المتوفرة عنها الى الوكالتين الاميركية والبريطانية. الا ان مثل هذا العرض وغيره من العروض التطوعية التي يطرحها كبار المسؤولين في جهاز التخابر الروسي لم يعد يحول دون مضي الوكالات الغربية، وخاصة جهاز المخابرات البريطاني ال «ام. اي. ٦» في التوسع نحو انشاء مراكزها ومحطاتها الخاصة الجديدة داخل هذه الجمهوريات وتعيينها بعناصر اضافية من المتخصصين في اللغات المتداولة فيها، الامر الذي بدأت في تنفيذ مراحله وتدريب كوادر ذات كفاءة عالية في اتقان هذه اللغات، ووضع اقنعة الحماية لمناصبهم كضباط في دوائر الرقابة على جوازات السفر في البعثات الدبلوماسية ومستشاري القنصليات البريطانية لتغطية للسفارات في مواقع العمل الجديدة وتدعيم اعمالهم بتقارير المعلومات التي تبثها الاقمار الصناعية عن تجمعات القوات العسكرية واعداد وحداتها، وحركتها بوجه عام وبالصورة قيسامهم باعداد الاستطلاعات وقياسات الرأي العام لشعوب هذه الجمهوريات الجديدة.

وقد تمت تجربة هذه الوسائل والاساليب لبلان ازمة الخليج وغزو القوات العراقية للكويت واكثرت التقارير والمعلومات التي تبثها الاقمار الصناعية من فوق المنصة فعاليتها في تقديرات القادة العسكريين وصناع القرار السياسي في العواصم الغربية الحجم الفعلي للقوى العراقية ومناطق تجمعاتها، في الوقت الذي اسهمت فيه وحدات القوات الخاصة البريطانية SAS، العاملة خلف القنوات في استكمال تفاصيل مكان الخطر، ومفاتيح الليابرة وعوامل اهمية حشد.

الآن تغيرت الظروف على المسرح الدولي برمته ولم تعد حركة الاحداث في البؤر الساخنة تطرح نك الحجم من المخاوف التي كانت تشكله حتى

وكانت كلها تعرية لحالات «العصاب» التي اصابت جيوش العملاء والجواسيس في ساحات دولة الاعداء (المانيا) واندمجوا تحت تأثير مزمنة بلادهم الى الارتاء في احضان اجهزة مخابرات الدول الغربية لكثير حماسا لتقديم خدماتهم الطوعية.

الصورة تشهدها الآن داخل جمهوريات الكومنولث الجديد، والعملاء وان ظلت اسماؤهم - بالضرورة - مجهولة، هم تلك الشريحة التي ستغذي أنشطة اجهزة المخابرات الغربية بوجه عام والبريطانية بوجه خاص.

وقبل عشرة ليلم زعم الجنرال اوارد شيركوفسكي احد كبار الضباط السابقين - في جهاز ال «كي. جي. بي» في موسكو في تصريحات علنية بان جمهورية روسيا البيضاء والمستقلة حديثا واقعة تحت سيطرة وتوجيه جواسيس وعملاء بلدان اوروبا الشرقية ووكالات المخابرات الغربية وحتى بعض العاملين السابقين في جهاز امن الدولة السوفياتية السابقة «كي. جي. بي».

وعبر هذه التصريحات الخطيرة من جنرال يتولى الآن وثلة جهاز المخابرات في جمهورية روسيا البيضاء، يؤكد «الرجل» ان المئات من المصنفين ككبار العملاء قد نجحوا في اختراق كافة اجهزة الدولة التي استقلت حديثا، وتحت مختلف الاقنعة والمصنفات سواء من الذين يطرحون انفسهم كخبراء دوليين في تسليح، او رجال الاعمال او خبراء منظمات الاغاثة الدولية، وبون اقتصاص الامر على عملاء وكالة المخابرات المركزية الاميركية CIA وحدهم بل تعدت نماذج الاختراق والانتشار السريع في مختلف الاصعدة داخل جمهورية روسيا البيضاء، عملاء وجواسيس آخرين

يمثلون تمدا بارزا لاجهزة المخابرات في دول اوروبية شرقية تقع في الظاهر وقد قطعت جذور علاقاتها مع الامبراطورية السوفياتية السابقة.

وتعني مثل هذه التصريحات التي تصدر لأول مرة من جنرال كبير يترى